

أولويات الأمور^(١) تأملات للعام الجديد

كهد. د. م. عدنان وحود

في مطلع العام الحالي ٢٠٠٥م وضعتُ بنيتي ” مها “ صفحة مكتوبة بالألمانية بين يديّ ، ورجتني أن أقرأها .. بالطبع وتقديراً لها شرعت بالقراءة فوراً .. كنت كلما قرأت سطراً منها ازدادت دهشتي للمحتوى ، وازددت حرصاً على متابعة القراءة . في هذه الأثناء ، كانت ” مها “ ترقب علامات وجهي ، لتقارنها بأحاسيسها ، التي شعرت بها ، عندما قرأت هذه الصفحة بنفسها . بعد الفراغ من القراءة ، سألتُ ” مها “ : من أين حصلت على هذه الصفحة ؟ فقالت : هذه هدية أسرة ” شفاين بيرجر Schweinberger “ الألمانية لنا في مطلع العام الجديد . فقلت لها : لا بد أن نضع محتوى هذه الصفحة بين يدي القارئ العربي ، ربما أخذت بيده للتأمل في أولويات الأمور :

في أول يوم دراسي للعام الجديد ، دخل أستاذ الفلسفة على طلابه ، وفي جعبته تأملات ، أحب أن يطرحها بمناسبة استهلال العام الجديد . فعند بداية الدرس ، أخذ قترميزاً كبيراً فارغاً ، وملاًه إلى شفته بالحجارة ، ثم طرح سؤاله على الطلبة :

- هل هذا القترميز مليء ؟

كانت إجابة الطلبة إيجابية .

بعد قليل أخرج علبة تحتوي على حصيّ ، وابتدأ يفرغ محتواها في نفس

(١) مترجمة عن الألمانية

القطرميز ، لتأخذ الحصى مكانها بين الحجارة . وظل يهز القطرميز بحذر ، إلى أن أفرغ كامل محتوى علبة الحصى فيه . عندها طرح سؤاله على الطلبة ثانية :

- هل هذا القطرميز مليء ؟

أثار السؤال شيئاً من الضحك ، ولكنهم أجابوا بالإيجاب أيضاً .

بعدها أخرج علبة أخرى ، تحتوي على رمل ، وأخذ يفرغه في القطرميز ، ليأخذ الرمل مكانه بين الحجارة والحصى ، ومع هز القطرميز ، أخذت كل حبة رمل مكانها فيه .

« الآن ، - قالها الأستاذ لطلبته - أحب أن تتعرفوا ، على أن هذا القطرميز ، يمثل حياتكم . فالحجارة تكوّن أمور حياتكم الأساسية ، مثل : أسركم وشركاء حياتكم وصحتكم وأبنائكم . أمور ، لو ذهبت كل أمور غيرها ، بقيت مجرى أمور حياتكم في المسار الطيب .

أما الحصى فتعبّر عن أمور أقل أهمية في حياتكم ، كمثل أن نشير - على سبيل المثال - إلى سيارتكم ، والرمل يرمز إلى صغائر شؤون حياتكم . إذا قمتم بملء الرمل في القطرميز أولاً ، فسوف يبقى حيز ضئيل للحصى وللحجارة الكبيرة . وهكذا يمكن أن تجري الأمور في حياتكم . عندما تبدلون كامل طاقتكم في صغائر الأمور ، فسوف لا يبقى لكم ما تبدلونه لأموركم وشؤونكم الكبيرة .

من أجل ذلك ، تنبهوا لأموركم الهامة ، وأعطوا الوقت الكافي لأبنائكم وشركاء حياتكم . انتبهوا أيضاً لصحتكم ؛ سوف تجدون بعدها الوقت الكافي للعمل ، ولتدبير شؤون المنزل وللحفلات و .. الخ .

تنبهوا في البداية للحجارة الكبيرة ، لأنها هي أوليات الأمور ، والباقي هو رمل » .